**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : الهجرة إلى الحبشة ورحلة الطائف وحادثة الإسراء والمعراج**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الرابع**

**الهجرة إلى الحبشة :**

تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع سنة الأخذ بالأسباب من السنن الربانية التي تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم سنة الأخذ بالأسباب ، والأسباب جمع سبب ، وهو كل شيء توصل به إلى غيره ، وسنة الأخذ بالأسباب مقررة في كون الله تعالى ، بصورة واضحة ، فلقد خلق الله هذا الكون بقدرته ، وأودعه من القوانين والسنن , ما يضمن استقراره واستمراره ، وجعل المسببات مرتبطة بالأسباب بعد إرادته تعالى ، فأرسى الأرض بالجبال ، وأنبت الزرع بالماء ... وغير ذلك .

فلما كثر المسلمون ، وظهر الإيمان فُتحدث به , ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجنونهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذين آمنوا به: «تفرقوا في الأرض» قالوا: فأين نذهب يا رسول الله ، قال: «هاهنا» وأشار إلى أرض الحبشة للأسباب الآتية :

**1- الفرار بالدين :**

كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سبباً مهمّاً من أسباب هجرتهم للحبشة قال ابن إسحاق: «فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم» .

**2- نشر الدعوة خارج مكة :**

ومن ثم كان يبحث الرسول صلى الله عليه وسلم عن قاعدة أخرى غير مكة ، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية ، ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة ، حيث تظفر بحرية الدعوة وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة .

**3- البحث عن مكان آمن للمسلمين :**

كانت الخطة الأمنية للرسول صلى الله عليه وسلم تستهدف الحفاظ على الصفوة المؤمنة ؛ ولذلك رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن الحبشة تعد مكاناً آمناً للمسلمين ريثما يشتد عود الإسلام وتهدأ العاصفة ، وقد وجد المهاجرون في أرض الحبشة ما أمنهم وطمأنهم ، وفي ذلك تقول أم سلمة رضي الله عنها: (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أَمِنَّا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ... ) .

**لماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة ؟**

هناك عدة أسباب تساعد للإجابة عن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة منها:

1- النجاشي العادل: فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ثناؤه على ملك الحبشة بقوله: «وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي ، لا يظلم أحد بأرضه» ، وكان يُنْثَي (يشاع) عليه مع ذلك صلاحه ويظهر هذا الصلاح في حمايته للمسلمين ، وتأثره بالقرآن الكريم عندما سمعه من جعفر - رضي الله عنه - ، وكان معتقده في عيسى عليه السلام صحيحاً .

2- الحبشة متجر قريش: كانت التجارة عماد الاقتصاد القرشي ، والحبشة تعد من مراكز التجارة في الجزيرة ، فربما عرفها بعض المسلمين عندما ذهبوا إليها في التجارة ، أو ذكرها لهم من ذهب إليهم قبلهم , وقد ذكر الطبري في معرض ذكره لأسباب الهجرة للحبشة: «وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش ، يتجرون فيها ، يجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ، ومتجراً حسناً» .

3- الحبشة البلد الآمن: فلم يكن في حينها في خارج الجزيرة بلد أكثر أمناً من بلاد الحبشة ، ومن المعلوم بُعد الحبشة عن سطوة قريش من جانب وهي لا تدين لقريش بالاتباع كغيرها من القبائل ، وفي حديث ابن إسحاق عن أسباب اتخاذ الحبشة مكاناً للهجرة أنها: أرض صدق ، وأن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد فهي أرض صدق ، وملكها عادل ، وتلك من أهم سمات البلد الآمن .

4- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم للحبشة ومعرفته بها: ففي حديث الزهري أن الحبشة كانت أحب الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إليها ولعل تلك المحبة لها أسباب منها:

أ- حكم النجاشي العاجل .

ب- التزام الأحباش بالنصرانية ، وهي أقرب إلى الإسلام من الوثنية .

ج- معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بأخبار الحبشة من خلال حاضنته أم أيمن رضي الله عنها ، وأم أيمن هذه ثبت في صحيح مسلم وغيره أنها كانت حبشية ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان خبيراً بطبائع وأحوال الدول التي في زمانه .

**وقت خروج المهاجرين وسرية الخروج والوصول إلى الحبشة :**

غادر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في رجب من السنة الخامسة للبعثة ، وكانوا عشرة رجال ، وأربع نسوة ، وقيل: خمس نسوة ، وحاولت قريش أن تدركهم لتردهم إلى مكة , وخرجوا في أثرهم حتى وصلوا البحر، ولكن المسلمين كانوا قد أبحروا متوجهين إلى الحبشة .

يتبين لنا سرية المهاجرين , ففي رواية الواقدي: «فخرجوا متسللين سراً» ، ولما وصل المسلمون إلى أرض الحبشة أكرم النجاشي مثواهم ، وأحسن لقاءهم ووجدوا عنده من الطمأنينة بالأمن ما لم يجدوه في وطنهم وأهليهم ، إن المتأمل في أسماء الصحابة الذين هاجروا لا يجد فيهم أحداً من الموالي الذين نالهم من أذى قريش وتعذيبها أشد من غيرهم ، كبلال ، وخباب ، وعمار رضي الله عنهم ، بل نجد غالبيتهم من ذوي النسب والمكانة في قريش ، ويمثلون عدداً من القبائل ، صحيح أن الأذى شمل ذوي النسب والمكانة كما طال غيرهم ، ولكنه كان على الموالي أشد في بيئة تقيم وزناً للقبيلة وترعى النسب ، وبالتالي فلو كان الفرار من الأذى وحده , هو السبب في الهجرة ، لكان هؤلاء الموالي المعذبون أحق بالهجرة من غيرهم ، ويؤيد هذا أن ابن إسحاق وغيره ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ولم يذكر هجرتهم للحبشة .

أن ثمة أسباباً أخرى , تدفع للهجرة غير الأذى اختار لها النبي صلى الله عليه وسلم نوعية من أصحابه ، تمثل عدداً من القبائل ، وقد يكون لذلك أثر في حمايتهم , لو وصلت قريش إلى إقناع أهل الحبشة بإرجاعهم من جانب ، وتهز هجرتهم قبائل قريش كلها أو معظمهم من جانب آخر، فمكة ضاقت بأبنائها ، ولم يجدوا بدّاً من الخروج عنها بحثاً عن الأمن في بلد آخر، ومن جانب ثالث , يرحل هؤلاء المهاجرون بدين الله لينشروه إلى الآفاق ، وقد تكون محلاً أصوب وأبرك للدعوة إلى الله فتتفتح عقول وقلوب حين يستغلق سواها .

عاش المسلمون ثلاثة أشهر من بدء الهجرة ، وحدث تغير كبير على حياة المسلمين في مكة ، وهناك ظروف نشأت لم تكن موجودة من قبل ، بعثت في المسلمين الأمل في إمكان نشر الدعوة في مكة ، حيث أسلم في تلك الفترة حمزة بن عبد المطلب , عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عصبية لابن أخيه , ثم شرح الله صدره للإسلام ، فثبت عليه , وكان حمزة أعز فتيان قريش وأشدهم شكيمة ، فلما دخل في الإسلام عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن عمه سيمنعه ويحميه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

وبعد إسلام حمزة - رضي الله عنه - أسلم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وكان عمر ذا شكيمة لا يرام ، فلما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازَّوا قريشاً ، كان إسلام الرجلين العظيمين بعد خروج المسلمين إلى الحبشة ، فكان إسلامُهما عزةً للمسلمين وقهراً للمشركين وتشجيعاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المجاهرة بعقيدتهم ، قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

أصبح المسلمون في وضع غير الذي كانوا فيه قبل الهجرة إلى الحبشة ، فقد امتنعوا بحمزة وعمر رضي الله عنهما ، واستطاعوا أن يصلوا عند الكعبة بعد أن كانوا لا يقدرون على ذلك ، وخرجوا من بيت الأرقم بن أبي الأرقم مجاهرين حتى دخلوا المسجد ، وكفت قريش عن إيذائهم بالصورة الوحشية التي كانت تعذبهم بها قبل ذلك ، فالوضع قد تغير بالنسبة للمسلمين ، والظروف التي كانوا يعيشون فيها قبل الهجرة قد تحولت إلى أحسن ، رجع المهاجرون إلى مكة بسبب ما علموا من إسلام حمزة وعمر, واعتقادهم أن إسلام هذين الصحابيين الجليلين سيعتز به المسلمون وتقوى شوكتهم .

**سعي قريش لدى النجاشي في رد المهاجرين :**

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً واستقراراً ، وحسن جوار من النجاشي ، وعبدوا الله لا يؤذيهم أحد ، ائتمروا فيما بينهم أن يبعثوا وفدا للنجاشي لإحضار من عنده من المسلمين إلى مكة بعد أن يوقعوا بينهم وبين ملك الحبشة , إلا أن هذا الوفد خدم الإسلام والمسلمين من حيث لا يدري ، فقد أسفرت مكيدته عند النجاشي عن حوار هادف دار بين أحد المهاجرين وهو جعفر بن أبي طالب ، وبين ملك الحبشة , أسفر هذا الحوار عن إسلام النجاشي ، وتأمين المهاجرين المسلمين عنده .

**حوار بين جعفر والنجاشي :**

أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبيّنا صلى الله عليه وسلم كائنًا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال له: أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده , لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فعدد عليه أمور الإسلام .. فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به ، فعبدنا الله وحده , فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وشقَّوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا , خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ، فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم ، فقال له النجاشي ، فاقرأه عليَّ؟ فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) قالت: فبكى والله النجاشي ، حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فوالله لا أُسلِمُهم إليكم أبداً ولا أكاد.

**عام الحزن ومحنة الطائف**

**عام الحزن :**

**1- وفاة أبي طالب :**

كانت وفاة أبي طالب بعد مغادرة بني هاشم شعبه ، وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث وقد كان أبو طالب (يحوط النبي ويغضب له) و(ينصره) ، وكانت قريش تحترمه ، وعندما حضرته الوفاة جاء زعماء الشرك وحرضوه على الاستمساك بدينه وعدم الدخول في الإسلام قائلين: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام قائلاً: «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال أبو طالب: لولا تعيرني بها قريش , يقولون: إنما حمله عليها الجزع ، لأقررت بها عينك ، فأنزل الله: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: 56] كانت أفكار الجاهلية راسخة في عقل أبي طالب، ولم يتمكن من تغييرها ، فهو شيخ كبير يصعب عليه تغيير فكره وما ألفه عن آبائه ، وكان أقرانه حاضرين وقت احتضاره , فأثروا عليه خوفاً من شيوع خبر إسلامه وتأثير ذلك على قومه .

**2- وفاة خديجة رضي الله عنها :**

أما السيدة خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها- فقد توفيت قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين في نفس عام وفاة أبي طالب ، وبموت أبي طالب الذي أعقبه موت خديجة رضي الله عنها ، تضاعف الأسى والحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بفقد هذين الحبيبين , اللذين كانا دعامتين من دعائم سير الدعوة في أزماتها ، كان أبو طالب السند الخارجي الذي يدفع عنه القوم ، وكانت خديجة السند الداخلي الذي يخفف عنه الأزمات والمحن ، فتجرأ كفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه ما لم يكونوا يطمعون به في حياة أبي طالب وابتدأت مرحلة عصيبة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم واجه فيها كثيراً من المشكلات والمصاعب , والمحن والفتن , حينما أصبح في الساحة وحيداً لا ناصر له إلا الله سبحانه وتعالى ، ومع هذا , فقد مضى في تبليغ رسالة ربه إلى الناس كافة على ما يلقى من الخلاف والأذى الشديد , الذي أفاضت كتب الحديث وكتب السير بأسانيدها الصحيحة الثابتة في الحديث عنه ، وتحمل صلى الله عليه وسلم من ذلك ما تنوء الجبال بحمله ، ولما تكالبت الفتن والمحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلده الذي نبت فيه وبين قومه الذين يعرفون عنه كل صغيرة وكبيرة , عزم صلى الله عليه وسلم على أن ينتقل إلى بلد غير بلده , وقوم غير قومه , يعرض عليهم دعوته ، ويلتمس منهم نصرتهم , رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إلى الطائف ، وهي من أقرب البلاد إلى مكة .

**رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :**

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقتدي بالأنبياء والمرسلين الذين سبقوه في الدعوة إلى الله ، فهذا نوح لبث في قومه داعياً: (أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا) [العنكبوت: 14] فكانت هذه الأعوام الطويلة عملاً دائباً ، وتنويعاً متكرراً (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ - أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ - يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا - فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا - وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا - ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا - ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) [نوح: 1 - 9] .

ومع امتداد الزمن الطويل ، ما توقف عن الدعوة , ولا ضعُفت همته في تبليغها ، ولا ضعُفت بصيرته وحيلته في تنويع أوقاتها وأساليبها ، قال الآلوسي في تفسيره (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي) أي إلى الإيمان والطاعة (لَيْلاً وَنَهَارًا) ، أي دائماً من غير فتور ولا توانٍ ، ثم وصف إعراضهم الشديد ، وإصرارهم العنيد ، ثم علق على قوله تعالى: (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) فقال: أي دعوتهم مرة بعد مرة ، وكرة غِبَّ كرة ، على وجوه مختلفة وأساليب متفاوتة ، وهو تعميم لوجوه الدعوة , بعد تعميم الأوقات ، وقوله: (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) يشعر بمسبوقية الجهر بالسر، وهو الأليق بمن همه الإجابة ؛ لأنه أقرب إليها لما فيه من اللطف بالمدعو ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينوع ويبتكر في أساليب الدعوة , ودعا سراً وجهراً ، وسلماً وحرباً ، وجمعاً ، وفرداً ، وسفراً وحضراً ، كما أنه عليه الصلاة والسلام قص القصص ، وضرب الأمثال ، واستخدم وسائل الإيضاح بالخط على الأرض وغيره , كما رغب وبشر، ورهب وأنذر، ودعا في كل آنٍ ، وعلى كل حال وبكل أسلوب مؤثر فعَّال فها هو عليه الصلاة والسلام ينتقل إلى الطائف ، ثم يتردد على القبائل ، ثم يهاجر ويستمر في دعوة الخلق إلى الله تعالى .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى لإيجاد مركز جديد للدعوة ، وطلب النصرة من ثقيف لكنها لم تستجب له ، وأغرت به صبيانها فرشقوه بالحجارة ، وفي طريق عودته من الطائف التقى بعدَّاس الذي كان نصرانيّاً فأسلم ، وأرخ الواقدي الرحلة في شوال سنة عشر من المبعث بعد موت أبي طالب وخديجة ، وذكر أن مدة إقامته بالطائف كانت عشرة أيام .

**لماذا اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الطائف ؟**

كانت الطائف تمثل العمق الإستراتيجي لملأ قريش ، بل كانت لقريش أطماع في الطائف ، ولقد حاولت في الماضي أن تضم الطائف إليها ، ووثبت على وادي وج وذلك لما فيه من الشجر والزرع ، حتى خافتهم ثقيف وحالفتهم, وأدخلت معهم بني دوس ، وقد كان كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك في الطائف , ويقضون فيها فصل الصيف، وكانت قبيلة بني هاشم وعبد شمس على اتصال مستمر مع الطائف ، كما كانت تربط مخزوم مصالح مالية مشتركة بثقيف فإذا اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فذلك توجه مدروس ، وإذا استطاع أن يجد له فيها موضع قدم , وعصبة تناصره ، فإن ذلك سيفزع قريشاً ، ويهدد أمنها ومصالحها الاقتصادية تهديداً مباشراً ، بل قد يؤدي لتطويقها وعزلها عن الخارج ، وهذا التحرك الدعوي السياسي الاستراتيجي , الذي يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على حرصه في الأخذ بالأسباب لإيجاد دولة مسلمة أو قوة جديدة , تطرح نفسها داخل حلبة الصراع ؛ لأن الدولة أو إيجاد القوة التي لها وجودها , من الوسائل المهمة في تبليغ دعوة الله إلى الناس ، عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف اتجه مباشرة إلى مركز السلطة وموضع القرار السياسي في الطائف .

**أين كان موضع السلطة في الطائف ؟**

كان بنو مالك والأحلاف - بحكم أسبقيتهم الزمنية للاستيطان - هما المسيطرين عليها وتنتهي إليهما قيادتها , فكانت لهما الرئاسة الدينية المتمثلة في رعاية المسجد , بالإضافة إلى الزعامة السياسية العامة والعلاقة الخارجية , والنفوذ الاقتصادي ، إلا أنهما مع ذلك لم يكونا في وضع يمكنهما من الدفاع عن منطقة الطائف ، التي كانت من أخصب بلاد العرب وأكثرها جذباً للأنظار والأطماع ، فكانا يخافان قبيلة هوازن ، ويخافان قريش ويخافان بني عامر، وكلها قبائل قوية وقادرة على الانقضاض والاستلاب ؛ ولذلك فقد اعتمد زعماء الطائف على سياسة المهادنة وحفظ الاستقرار السياسي عن طريق المعاهدات والموازنات وهي عين الطريق التي كانت تسير عليها قريش ، فصار بنو مالك يوثقون علاقاتهم مع هوازن ليأمنوا شرها ، وصار الأحلاف يرتبطون بقريش لتأمين جانبها .

هذا ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم غافلاً عن هذه الشبكة من العلاقات والمعاهدات , وهو يتجه إلى الطائف ، بل كان يعرف أن الطائف لم تكن توجد بها سلطة مركزية واحدة ، وإنما يقتسم السلطة فيها بطنان من بطون العرب بموجب اتفاقية داخلية ، وأن أيا منهما كان يدور في فلك قبيلة خارجية أقوى ، فإذا استطاع أن يستميل إليه أيا منهما , فسوف يكون لذلك أثر كبير في ميزان القوى السياسية ، هذا على وجه العموم ، أما إذا استطاع على وجه الخصوص أن يستميل إليه الأحلاف ، وهو المعسكر المتحالف مع قريش ، فإن خطته تكون قد بلغت تمامها وهو أمر غير مستحيل ، فهو يعلم أن موادة هذا المعسكر لقريش لا تقوم على القناعة المذهبية أو الولاء الديني بقدر ما تقوم على أساس التخوف من قريش ، وعلى هذا التقدير للوضع السياسي اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة حينما دخل الطائف ، إلى بني عمرو بن عمير الذين يترأسون الأحلاف ، ويرتبطون بقريش، ولم يذهب إلى بني مالك الذين يتحالفون مع هوازن قال ابن هشام في السيرة: «لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح غير أن بني عمرو كانوا شديدي الحذر وكثيري التخوف ، فلم يستجيبوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بل بالغوا في السفه وسوء الأدب معه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم , وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم: «إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني» وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيؤزرهم ذلك عليه ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أن تتم اتصالاته تلك في جو من السرية ، وألا تنكشف تحركاته لقريش فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم كثيراً بجوانب الحيطة والحذر لذلك عمل الآتي :

أ- كان خروجه من مكة على الأقدام , حتى لا تظن قريش أنه ينوي الخروج من مكة ؛ لأنه لو خرج راكباً فذلك مما يثير الشبهة والشكوك ، وأنه ينوي الخروج والسفر إلى جهة ما ، مما قد يعرضه للمنع من الخروج من مكة دون اعتراض من أحد .

ب- واختيار الرسول صلى الله عليه وسلم زيداً كي يرافقه في رحلته فيه جوانب أمنية ، فزيد هو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتبني ، فإذا رآه معه أحد ، لا يثير ذلك أي نوع من الشك لقوة الصلة بينهما ، كما أنه صلى الله عليه وسلم عرف زيداً عن قرب , فعلم فيه الإخلاص والأمانة والصدق , فهو إذن مأمون الجانب فلا يفشي سرَّاً ، ويعتمد عليه في الصحبة ، وهذا ما ظهر عندما كان يقي النبي صلى الله عليه وسلم الحجارة بنفسه ، حتى أصيب بشجاج في رأسه .

ج- وعندما كان رد زعماء الطائف رداً قبيحاً مشوباً بالاستهزاء والسخرية ، تحمله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يغضب أو يثُر، بل طلب منهم أن يكتموا عنه ، فهذا تصرف غاية في الحيطة ، فإذا علمت قريش بهذا الاتصال فإنها لا تسخر منه فحسب ، بل ربما شددت عليه في العذاب والاضطهاد ، وحاولت رصد تحركاته داخل وخارج مكة .

كان بنو عمرو لئاماً فلم يكتموا خبر الرسول صلى الله عليه وسلم بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمون عراقيبه بالحجارة ، حتى دمت عقباه وتلطخت نعلاه ، وسال دمه الزكي على أرض الطائف ، وما زالوا به وبزيد بن حارثة حتى ألجأوهما إلى حائط- بستان- لعتبة وشيبة ابني ربيعة , وهما فيه ، فكره مكانهما لعداوتهما لله ورسوله ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل شجرة من عنب ، فجلس فيه هو وصاحبه زيد ، ريثما يستريحا من عنائهما ، وما أصابهما ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، ولم يحركا ساكناً ، وفي هذه الغمرة من الأسى والحزن , والآلام النفسية والجسمانية توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه بهذا الدعاء الذي يفيض إيماناً ويقيناً ، ورضى بما ناله في الله ، واسترضاء لله: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرفت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة , من أن تُنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» .

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي , فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت , إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشركُ به شيئاً» .

كانت إصابته صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبلغ من الناحية الجسمية ، أما من الناحية النفسية , فإن إصابته يوم الطائف أبلغ وأشد ؛ لأن فيها إرهاقاً كبيراً لنفسه ومعاناة فكرية شديدة جعلته يستغرق في التفكير من الطائف إلى قرن الثعالب .

ثم يختم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءه بالكلمة العظيمة التي يقولها , وعلم أصحابه أن يقولوها عند حلول المكاره «ولا حول ولا قوة إلا بك» فلا تحول للمؤمن من حال الشدة إلى حال الرخاء ، ولا من الخوف إلى الأمن إلا بالله تعالى ، ولا قوة على مواجهة الشدائد وتحمل المكاره إلا بالله جل وعلا ، فما أن انتهى من الدعاء حتى جاءت الإجابة من رب العالمين مع جبريل وملك الجبال .

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على دخول مكة مرة ثانية ، غير أن ظاهر الأحوال تدل على أن دخول مكة لم يكن أمراً هيناً ولا آمناً ، وهنالك احتمال كبير للغدر به ولاغتياله من قبل قريش ، التي لا يمكن أن تصبر أكثر, وهو قد أعلن الخروج عليها وذهب يستنصر بالقبائل الأخرى , ويوقع بينها وبين حلفائها ، ثم إنه حتى لو لم تكن هناك خطورة على شخصه ، فإن دخوله إلى مكة بصورة (عادية) وقد طردته الطائف ، سيجعل أهل مكة يصورون الأمر كهزيمة كبيرة أصابت المسلمين ويجترئون عليهم ويزدادون سفهاً ، ولذلك فقد اتجه نظر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المرة إلى تفجير مكة من الداخل بدلاً من تطويقها من الخارج ، أي أراد أن يتغلغل في داخل بطون قريش ذاتها ، ويُوجِد له حلفاء من بينهم وَيُكَوِّن له وجوداً في قلبها .

ولما انصرف صلى الله عليه وسلم من الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه , من تصديقه ونصرته ، صار إلى حِراء ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فقال: أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال له: إن بني عامر لا تجير على بني كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدي -سيد قبيلة بني نوفل بن عبد مناف- بعث إليه رجلاً من خزاعة ، «أدخل في جوارك؟» فقال: نعم: ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمداً ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام ، فقام المطعم بن عدي على راحلته , فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم , فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته , والمطعم بن عدي وولده محدقون بالسلاح حتى دخل بيته ، وقد حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيع مطعم بن عدي ، وعرف مدى الخطورة التي عرض نفسه وولده وقومه لها من أجله ، فقال عن أسارى بدر السبعين يوم أسرهم: «لو كان المطعم بن عدي حيّاً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له» ، فمع العداء العقدي فرسول الله صلى الله عليه وسلم يفرق بين من يعادي هذه العقيدة ويحاربها ، ومن يناصرها ويسالمها ، إنهم وإن كانوا كفاراً فليس من سمة النبوة أن تتنكر للجميل ، وهكذا صلى الله عليه وسلم , كان يوظف الأعراف والتقاليد التي في مجتمعه لمصلحة الإسلام .

**رحلة الإسراء والمعراج :**

لهذه المعجزة الجليلة أهدافاً تتمثل في أمور من أهمها:

إن الله عز وجل أراد أن يتيح لرسوله فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته , حتى يملأ قلبه ثقة فيه واستناداً إليه , حتى يزداد قوة في مهاجمة سلطان الكفر القائم في الأرض ، كما حدث لموسى عليه السلام ، فقد شاء الله أن يريه عجائب قدرته ، فلما ملأ قلبه بمشاهد هذه الآيات الكبرى قال له بعد ذلك: (لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى) [طه: 23] .

في رحلة الإسراء والمعراج أطلع الله نبيه على هذه الآيات الكبرى ، توطئة للهجرة ولأعظم مواجهة على مدى التاريخ للكفر والضلال والفسوق ، والآيات التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة: الذهاب إلى بيت المقدس ، العروج إلى السماء ، رؤية الغيب الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلين ، الملائكة ، السماوات ، الجنة والنار، نماذج من النعيم والعذاب ، كان حديث القرآن الكريم عن الإسراء في سورة الإسراء , وعن المعراج في سورة النجم ، وذكر حكمة الإسراء في سورة الإسراء بقوله: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) [الإسراء: 1] وفي سورة النجم بقوله: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) [النجم: 18] .

**الإسراء والمعراج كما جاءت في بعض الأحاديث :**

- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُتيت بالبراق -وهو دابة أبيضٌ طويلٌ فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه- قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال: جبريل اخترت الفطرة» فذكر الحديث .

- وفي حديث مالك بن صعصعة: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري يه ، قال: «بينما أنا في الحطيم» وربما قال: «في الحجر مضطجعًا إذ أتاني آت فقدَّ» قال: وسمعته يقول: «فشق ما بين هذه» فقلت للجارود وهو إلى جانبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته ، «فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً ، فغسل قلبي ثم حَشي ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض» فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم , يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتيت السماء الدنيا فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم . قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء , ففتح ، فلما خَلَصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فَفَتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال: هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما فسلمت ، فردَّا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء , ففتح فلما خلصت إذا يوسف , قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى السماء الرابعة ، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء , ففتح فلما خلصت فإذا إدريس , قال: هذا إدريس , فسلم عليه ، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء , ففتح فلما خلصت , فإذا هارون قال: هذا هارون، فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى السماء السادسة ، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء , فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي .

ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء , فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه ، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت لي سدرة فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال: هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار, نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما البطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر, وإناء من لبن , وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتُك ، ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال: مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال: مثله فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأُسَلِّم ، قال: فلما جاوزتُ نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففت عن عبادي» ، وقد كانت حادثة الإسراء والمعراج قبل هجرته عليه السلام بسنة .

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته الميمونة أخبر قومه بذلك فقال لهم في مجلس حضره المطعم بن عدي ، وعمرو بن هشام والوليد بن المغيرة ، فقال: «إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد ، وصليت به الغداة ، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس ، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى وصليت بهم وكلمتهم» فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ به: صفهم لي ، فقال: «أما عيسى، ففوق الربعة ، ودون الطول ، عريض الصدر، ظاهر الدم ، جعد ، أشعر تعلوه صهبة ، كأنه عروة بن مسعود الثقفي ، وأما موسى فضخم آدم طوال ، كأنه من رجال شنوءة , متراكب الأسنان ، مقلص الشفة ، خارج اللثة ، عابس ، وأما إبراهيم فو الله إنه لأشبه الناس بي ، خَلقاً وخُلقاً» ، فقالوا: يا محمد فصف لنا بيت المقدس ، قال: «دخلت ليلاً ، وخرجت ليلاً» فأتاه جبريل بصورته في جناحه ، فجعل يقول: «باب منه كذا ، في موضع كذا ، وباب منه كذا ، في موضع كذا» ، ثم سألوه عن عيرهم فقال لهم: «أتيت على عير بني فلان بالروحاء ، قد أضلوا ناقة لهم ، فانطلقوا في طلبها ، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد ، وإذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذه والإله آية- «ثم انتهيت إلى عير بني فلان ، فنفرت مني الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق ، مخطط ببياض , لا أدري أكسر البعير، أم لا فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذه والإله آية- «ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم ، يقدمها جمل أورق وها هي تطلع عليكم من الثنية» ، فقال الوليد بن المغيرة: ساحر فانطلقوا فنظروا , فوجدوا الأمر كما قال ، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال ، كانت هذه الحادثة فتنة لبعض الناس فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فقالوا: هل لك إلى صاحبك , يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، قال: أَوَقال ذلك؟ قالوا: نعم ، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا: أو تصدقه ، أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فلذلك سمي أبو بكر الصديق .